منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السابع — نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٢ — السنة الثالثة

الرتب والنياشين

الانسان بطبيعته ميال الى الزهو، توّاق بفطرته الى التفوّق على ابناء جلدتهِ، شغفٌ بكل ما يميزه على الغير. تلك غريزة ملاصقة للنفس البشرية كيفما تكيفت وحيثما وُجدت. ولذلك ترى منح الرتب والنياشين من العادات القديمة المنتشرة بين جميع الأمم والشعوب، ايًّا كان شكل حكومتها. ولطالما استخدمها الرؤساء والحكام لاستمالة أصحاب النفوذ من المرؤوسين والمحكومين، لانهُ اذا كان للرعية ألف وسيلة تتزلف بها الى عاهلها، فللعاهل فيما تجود به يده من نعم الالقاب والاوسمة أحسن ذريعة للتزلف بدوره الى تلك الرعية. ولإن روى لنا التاريخ حادثة ذلك الكونت الذي مننه ملكه بقوله «من جعلك كونتاً؟» فأجابهُ، ويده على قائم سيفه «أنت. ولكنني صيّرتك ملكاً» فلكم روى لنا عن استكانة أصحاب الألقاب الى الذل والخنوع لمانحيهم ذلك اللقب الذي يخوّلهم حق التشامخ على من كان عطلاً منه. ولإن كان قانون الولايات

المتحدة يمنع الاميركيين من حمل الالقاب وعلامات الشرف ، فلكم رأينا من أغنيائهم يسعون زحفاً لتزويج بناتهم صاحبات الملايين من ذي لقب وان كان معدماً لا يملك شروى نقير

البحث في الرتب والنياشين من الابحاث التى كثر خوض الكتاب فيها . فمن محبّذ ومن مسفّه . وأدلة الفريقين مشهورة ، والحجج لها وعليها معروفة . يمكن ان تقابل وتقارن بينها دون ان تتوصل الى اقناع صاحب رأي فيها . هذا يسميها زينة فارغة ، ومجداً باطلاً ، وبهرجة كذابة . وذاك يقول عنها : علامة شرف ، وشهادة نبل ، ودليل مروّة ورفعة

تقول هذا مجاج النحل تمدحهُ　　وان ذممتَ تقُل قيءُ الزنابيرِ

يسعى الآن فريق لالغاء الرتب وإبطال النياشين وسائر علامات الامتياز . وحجتهم في ذلك نشر المساواة بين الوطنيين . ولا سيما ان هذه الامتيازات لا تزيد في قدر الرجل وليست دائماً في الواقع علامة امتياز حقيقي ، بل كثيراً ما تكون موضوع تجارة سافلة من مانحيها ، وذريعة للاعجاب والغطرسة من نائليها . ولطالما كانت موضوع الدسائس والمساعي الدنيئة في جميع أنواع الحكومات من امبراطوريات وملكيات وامارات وجمهوريات . وقد تبادر فكر الغاء النياشين والرتب الى ذهن رجال الثورة الفرنسوية الكبيرة فألغوا كل ما خلّفه عهد الملوك من الرتب والالقاب والنياشين ، ولكنهم لم يلبثوا ان اضطروا الى انشاء غيرها ليجعلوها علالة لكبرياء الناس . فأوجدوا اولاً ما سمّوه «أسلحة الشرف» وذلك مكافأةً للابطال الذين امتازوا في حملة ايطاليا . ثم لما قبض نابوليون

بونابرت على أزمة الاحكام أخذ يمطر ألقاب الامتياز على قواده ، مضيفاً الى أسمائهم الاصلية أسماء الانتصارات التي أحرزوها في المواقع الحربية . وكان قد أنشأ وسام فرقة الشرف (لجيون دونور) وجعل عدد حاملي هذا الوسام ٦٠٠٠ فقط . فجاءت الامبراطورية الثانية وزادت على هذا الرقم أصفاراً فجعلته ٦٠,٠٠٠ . ولا يزال التاريخ يذكر ذلك الاحتفال الباهر الذي أقيم يوم وزّع بونابرت هذا النيشان على مستحقيه

ولا ينكر ان من الخدمات الجلّى ما لا يمكن اثابة من يقوم بها بالدراهم . وهذا ما يدّعيه مريدو الرتب والنياشين . فيرونها والحالة هذه أسمى ثواب وخير جزاء ، فضلاً عن أنهم ينظرون فيها باعثاً للنشاط ، معزّزاً للجدّ في سبيل الخير العام ، مثيراً للعواطف النبيلة في النفوس واذا كانت احياناً تُنال عن طريق الثروة ، فكثيراً ما تكون ايضاً جزاء عمل جليل يؤول الى ترقية البلاد مادياً أو أدبياً أو علمياً أو فنياً ، فأصبحنا نراها على صدر الجندي والشاعر والعالم والمخترع وصاحب الفن ، وصار عدد حاملي النياشين من هذه الطبقات يزداد يوماً فيوماً . وقد قال الشاعر الفرنسوي روستان عن لسان ابن نابوليون : «كان بودّ أبي ان يجعل الشاعر كورنيل اميراً فسأجعلنّ ڤكتور هوغو دوقاً» ... وعلى كل فيجب التحفظ والاعتدال في توزيعها حتى تبقى علامة امتياز حقيقي لا تبتذل فتفقد قيمتها في أعين الناس . ولا بأس في هذا المقام من ايراد نكتة للملك ڤيكتور عمانوئيل الايطالي فانه كان يقول « شيئان لا يمكني ان انأرفضهما لأي رجل فرنسوي يطلبهما مني بتأدب : عود كبريت ليولع

سيجارته ، ونيشان القديسين موريس ولازار ليزين صدره » . . .

ولقد اشتهر أمر كثيرين من مشاهير العلماء وكبار الرجال الذين رفضوا بتاتاً الرتب والنياشين ، وكان رفضهم عن اخلاص في الاعتقاد ورسوخ في المبدإ . غير ان رفض البعض كان ينمّ عن كبرياءٍ حقيقية وعجرفة فعلية . وما الرتب والنياشين في الحقيقة الاّ كمصباح يحمله الانسان ، فيبدي عيوبه اذا كان ناقصاً ، ويُظهر محاسنهُ اذا كان كاملاً

قال أحد كتّاب الغربيين : « يجب ان نعجب لا ان نضحك من هذا الاختراع الكبير — اختراع الاوسمة والنياشين — فهو اختراع قوة أدبية هائلة تفوق أهمّ الاختراعات اذ يحمل الناس على اقتحام غمرات الردى لنيل قطعة من المعدن يرون فيها أمجد مجدٍ وأشرف شرفٍ وأعظم جزاء . هذا جنون ولكنهُ جنون جميل »

وكأن الناس خافوا على هذه الامتيازات من الطامعين فيها يدّعونها كذباً وزوراً فجعلوا في القانون مادة تعاقب بالسجن من ستة أشهر الى سنتين من يحمل نيشاناً لم يُنعم عليهِ بهِ ، كما انهم يغرّمون من ينتحل لنفسهِ لقباً من ألقاب الشرف جزاءً نقدياً من ٥٠٠ الى ١٠٠٠٠ فرنك

وأحسن ما يختم بهِ هذا المقال كلمة جامعة شاملة على ايجازها ، لأحمد فارس الشدياق عن الالقاب قال : « هي خرقة تستر عورة الاسم الذي أُطلق على المسمى . . . بل هي كالبطاقة شُدَّت الى لابسها ليُعرف بها سعره . الاَّ انه كثيراً ما يقع الغلط في إلصاقها بمن ليس بينهُ وبينها علاقة . . . »

* * *

بعد أن تكلمنا عن الرتب والنياشين من الوجهة الادبية الاجتماعية ، يجدر بنا ان نقول عنها كلمة من الوجهة التاريخية

تقدم ان منح النياشين وعلامات الشرف والامتياز عادة قديمة . وكان أبطال الرومانيين عدا ما يصيبهم من الغنيمة على العدو يُثابون بأسلحة شرف يوزعها عليهم القائد في مجمع من الجيش ويطري بسالتهم وإقدامهم . وكان يُنعم عليهم بنياشين وعلامات يتزينون بها في الحفلات العمومية ، كما هي العادة اليوم ، وأشهرها الاكاليل :

فكان « اكليل المعسكر » يُمنح لاول جندي يدخل معسكر الاعداء ، و « اكليل الحصن » لأول جندي يهاجم قلعتهم . وكان يُنعم « باكليل البحر » على القائد البحري الذي يكسر اسطولاً أو على النوتي الذي يسبق رفاقه بالصعود الى مركب العدو . اما « اكليل الزيتون » فكان للعساكر والضباط الذين امتازوا في معركة حربية ، و « الاكليل المدني » للذي ينقذ حياة احد الرومانيين . وكان الجيش يقدّم « اكليل الكلإ » للقائد الذي ينجيه من أيدي العدو . أما « اكليل الآس » و « اكليل الغار » فكانا للقائد الذي يخرج شعب رومة لملاقاته بعد العودة من فتح كبير او انتصار باهر

وعلى عهد الامبراطورية الرومانية ، وُضع حدٌّ فاصل بين هذه الانعامات . فكانوا يسمون الاكاليل « الانعامات الكبرى » . أما « الانعامات الصغرى » فمنها « السوار » في الذراع و « القلادة » في

العنق و « الدائرة » على الصـدر و « القرون » على الخوذة . وكانت هذه الشارات من الذهب أو الفضة . وكان منح الانعامات الكبرى من حق مجلس الشيوخ (السناتو) أو الجيش ، ومنح الانعامات الصغرى من حق قواد العساكر . وكان يجوز للروماني ان يُحرز كل هذه الامتيازات معاً وعدداً كبيراً منهـا . فان سكسيوس دنطاطوس نال ٢٢ رمح شرف و ٢٥ اسطوانة و ٨٣ قلادة و ١٦٠ سواراً و ٢٦ اكليلاً

أما قدماء اليونان فلم يكن عندهم كل هذه الانواع الكثيرة من علامات الشرف . وأشهرها عندهم « الاكليل » ولخطيبهم الاكبر ذيموستينوس خطبة معروفة في هذا الموضوع

وكانت علامات الامتياز في ما مضى عسكرية على الغالب للتمييز بين القواد وطبقات الضباط والعساكر . على أن الملوك أخذوا يوجدون الاوسمة الخاصة ينعمون بها على كل من خدم بلاده . فأنشأ شارلمان وسام « التاج الملكي » والملك لويس التاسع وسام « كوز اللزّان » والملك جان وسام « النجمة » والملك هنري الثالث وسام « الروح القدس » وانشأ لويس الرابع عشر وساماً باسم جده الاكبر « القديس لويس » واتخذ لويس الخامس عشر من هذا الوسام طبقةً ثانية سماها وسام « الاستحقاق العسكري » للانعام به على غير الكاثوليك من رعاياه . ولما جاءت الثورة الفرنسوية ألغت جميع الألقاب والنياشين . على ان نابليون أعادها فانشأ نيشان اللجيون دونور كما تقدم[1] .

---

(١) سنأتي في الجزء القادم على ذكر الالقاب والنياشين الموجودة في كل دولة من الدول